

معاهدة سنة ١٩٠٧ بين روسيا وإنجلترا

حول إيران وأفغانستان والبلت

الدكتور نوري عبد الباق

تحولت إيران الى شبه مستعمرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان أبرز مظاهر ذلك التحول هو الامتيازات المتعددة الجوانب التي حصلت عليها الدول الأوروبية والتي بلغ مجموعها خمس عشرة دولة ، أشهرها روسيا وبريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا . كانت بريطانيا هي السبابة في هذا المضمار فقد حصلت على امتيازات متعددة أشهرها الامتيازات التي حصلت عليها في السنوات ، ١٨٦١ ، ١٨٦٥ ، ١٨٧٢ حول بناء خط تلفراف يربط الهند بأوروبا عبر فارس ، كان من المقرر أن يبدأ من لندن - برلين - وارشو - أوديسا - تفليس - جولفا - تبريز - طهران - أصفهان - كراجي وكلكتا (١) وحصلت شركة لنج الانكليزية سنة ١٨٨٨ على امتياز الملاحة في نهر كارون ، وفي سنة ١٨٨٩ حصل روثير على امتياز فتح البنك الشاهنشاهي في طهران وفروعه في تبريز ورشت ومشهد ويزد وأصفهان وشيراز بوشهر . وبعد فترة من الزمن حصل هذا البنك على مكانة مرموقة عند حكومة الشاه حتى بلغت مجموع القروض التي قدمها للشاه ٥٤٠ ألف جنيه استرليني . وفي سنة ١٩٠١ تمكن دارسي من الحصول على امتياز للتنقيب عن النفط في كافة الاراضي الإيرانية فيما عدا المقاطعات الخمسة الشمالية التي لم تستطع حكومة الشاه التصرف بها كما تشاء لوقوعها على الحدود الروسية مباشرة .

واستقر النفوذ البريطاني في الخليج العربي بعد عقد بريطانيا سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات مع حكام ومشايخ الخليج ويمكن القول أن بريطانيا أحكمت قبضتها على سواحل الخليج منذ أكثر من مائة سنة حتى بداية القرن

١ - أيفانوف - الثورة الإيرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ص ٦٧ موسكو ١٩٥٧ (باللغة الروسية) .

المشرين (٢) • ولكن في بداية القرن العشرين تعرض النفوذ البريطاني في إيران والخليج العربي لبعض الأخطار بعد حصول ألمانيا على امتياز سكة حديد بغداد - برلين وتحرك النفوذ الروسي من الشمال إلى جنوب إيران بعد أن أحكمت روسيا القيصرية سيطرتها الاقتصادية على الأقسام الشمالية ما نصه : « أن سياستنا في بلاد فارس تهدف في المدى القريب إلى أحكام من إيران في نهاية القرن التاسع عشر إذ أصبحت الواردات الروسية من إيران تكون ٦٩٪ من مجموع صادرات إيران وتكون نسبة الصادرات الروسية إلى إيران ٨٥٪ من مجموع وارداتها ، أما الصادرات البريطانية إلى إيران فتكون ١٣٪ من مجموع واردات إيران وواردات بريطانيا تكون ٢٥٪ من مجموع صادرات إيران (١) • وتم هذا نتيجة لأسباب متعددة أشهرها الموقع الجغرافي لروسيا بالنسبة لإيران وقرار الحكومة الروسية سنة ١٨٨٣ إذ نص هذا القرار على منع تجارة الترانزيت بين أوروبا وإيران عبر باكو وتفليس • ويبين الجدول التالي العلاقات التجارية بين إيران والدول الأجنبية في سنة ١٩٠٠ بملايين الدولارات (٢) •

الدولة	الصادرات إلى إيران	الواردات من إيران	المجموع
روسيا	١٧ر٨	٢١ر٦	٣٩ر٤
بريطانيا	٣ر٩	١ر٨	٥ر٧
الهند	٥ر٣	١١ر٦	١٦ر٩
ألمانيا	٠ر٣	٠ر٦	٠ر٩
النمسا والمجر	٠ر٣	٠ر٢	٠ر٥

وكانت سياسة روسيا في إيران تقوم على أساس إزاحة النفوذ البريطاني عن كافة الأراضي الإيرانية وبضمنها المناطق المطلة على سواحل الخليج العربي • وأرتأت روسيا تحقيق ذلك الهدف عن طريق الهيمنة الاقتصادية على الحكومة الإيرانية • لقد انعكس كل ذلك بوضوح في التقارير الدبلوماسية والعسكرية السرية الروسية • ففي التقرير الذي رفعه قائد جيش القفقاس « الجنرال كروباتكين » إلى وزارة الخارجية عام ١٨٩٧ مثلاً

٢ - رويثر - الصراع الروسي البريطاني في أواسط آسيا في القرن التاسع عشر ، ص ١٥٢ موسكو ١٩٥٤ - الترجمة الروسية عن الفرنسية : ١٩٠٩ د بالروسية •

بتروغراد سنة ١٩٠٣ (باللغة الروسية) •

٢ - فيودوروف - التجارة الدولية في الشرق الأوسط ص ١٢٨
١ - ليشنكا - تاريخ الاقتصاد القومي - ٢ ص ٥٧٢ بتروغراد سنة

سيطرتنا على المناطق الشمالية من تلك البلاد وضمان الاستقرار في المقاطعات الواقعة بالقرب من حدودنا ولكن خلال خمسين سنة ستصبح نفوس روسيا ٢٥٠ مليون نسمة وعندئذ ستكون فارس بالنسبة لنا ليس سوقا تجاريا فحسب

بل ستتحوّل كذلك الى حلقة وصل بين روسيا العظمى والمحيط الهندي يجب أن نهتم بها كاهتمامنا بالسفور والدردينيل والموانئ الدافئة » (١) .

وفي نهاية القرن التاسع عشر طلبت غرفة تجارة موسكو من وزارة الخارجية الروسية مفاتحة الحكومة الايرانية حول طلب الموافقة على امتياز مد خط حديدي يربط مدينة رشت وبندر عباس ، لكن وزارة الخارجية رفضت هذا الطلب لخوفها من احتمال محاولة بريطانيا الحصول بدورها على امتياز مشابه ولأنها توقعت أن يكون لحكومة الشاه رد فعل سلبي على مشروع من هذا القبيل (٢) . لكن السبب الحقيقي يتمثل بالاتفاق الروسي البريطاني على تأجيل مشاريع مد الخطوط الحديدية في الاراضي الايرانية . فروسيا القيصرية كانت تخشى من أن شبكة الخطوط الحديدية ستسهل نقل البضاعة الانكليزية الى المناطق الشمالية من بلاد ايران وربما الى القفقاس وبريطانيا كانت تخشى من أن شبكة الخطوط الحديدية ربما تسهل امتداد النفوذ الروسي الى الجنوب والخليج العربي . لهذه الأسباب فقد كان من مصلحة الدولتين تجميد مشاريع بناء السكك الحديدية في ايران . ان افتتاح بنك الخصم الروسي في طهران سنة ١٨٩٠ لدليل على قوة النفوذ الروسي هناك فبعد فترة وجيزة أصبح لهذا البنك أربعة عشر فرعا في المدن الايرانية الكبيرة مثل تبريز ورشت ومشهد وانزلي وسجستان . وكانت الحكومة الروسية تقدم قروضها للشاه مظفر الدين عن طريق هذا البنك وحتى سنة ١٩٠٦ بلغ مجموع رؤوس الاموال التي وضعتها الحكومة الروسية تحت تصرف هذا البنك ٧٢ مليون روبل (٣) . وأشهر تلك القروض هو قرض سنة ١٩٠٠ البالغ ٢٢٥ مليون روبل وقرض سنة ١٩٠٢ البالغ

١ - سياسة روسيا الخارجية ، وثيقة ٢٦٨ ، ورقة ٥ - ٦ ، تقرير الجنرال كروباتكين القائد العام لجيش القفقاس الى وزارة الخارجية من ١٨٩٧/٨/٩ .

٢ - سياسة روسيا الخارجية - رسالة وزارة المالية الى وزارة الخارجية في ١٨٨٨/١١/١٣ .

١٠ ملايين روبل بشرط أن لا تتقدم حكومة الشاه بطلب القرض من أي حكومة أخرى ولمدة عشر سنوات . كما جدد الاتفاق السري القسديم بين روسيا وإيران على عدم اعطاء الأجانب امتيازات بأنشاء السكك الحديدية قبل موافقة روسيا على ذلك (١) ، وفي سنة ١٩٠١ وقعت اتفاقية جمركية بين روسيا وإيران تعهدت إيران بفرض رسوم جمركية بسيطة على البضائع الواردة من الدول الأخرى (٢) . لقد بلغ مجموع الرساميل الروسية المستثمرة في إيران قبل الحرب العالمية الأولى حوالي ١٦٤ مليون روبل في الوقت الذي كان فيه مجموع الرساميل البريطانية في إيران ولنفس الفترة ٩٦ مليون جنيه استرليني (٣) ان هذه الاتفاقيات المالية بين روسيا وإيران وما رافقها من شروط سياسية قد أقلقحت حكومة الهند ، فكتسب اللورد كرزن - نائب الملك في الهند - الى حكومة لندن بأن الشاه أصبح ضد بريطانيا وعليها أن تفكر بالطريقة التي يجب استعمالها لاييقاف روسيا من الزحف نحو الجنوب (٤) .

يتمثل الامتداد العملي للنفوذ الروسي في الخليج العربي بافتتاح خط للملاحة البحرية بين موانئ الخليج العربي وموانئ البحر الاسود وافتتاح القنصليات الروسية والوكالات التجارية في كل من البصرة سنة ١٨٩٩ وبندر يوشهر ١٩٠١ وبندر عباس ١٩٠٥ ووجود فرق القوزاق والزوارق الحربية لحماية تلك المؤسسات الروسية ، كذلك المظاهرة الحربية التي قامت بها روسيا بارسال طرادين الى مياه الخليج العربي وفي سنة ١٨٩٨ تقدم الكونت كابنت وهو مسؤول روسي الى الباب العالي ملتمسا الحصول على امتياز ببناء خط حديدي يربط بين ميناء طرابلس في بلاد الشام والكويت . ويظهر أن الكويت كانت هي المنطقة التي تنظر اليها روسيا كهدف لبناء ميناء لها على سواحل الخليج العربي (٥) . ان هذه التطلعات من جانب روسيا اضافة الى النشاط الفرنسي والاماني أقلق حكومة الهند كثيرا وخاصة اللورد كرزن والذي اتهم روسيا والمانيا بالاتفاق من أجل الحصول على مواقع على سواحل

٢ - دونالدولبر - إيران ماضيها وحاضرها . ترجمة د . عبد المنعم محمد حسنين ص ١٠٣ القاهرة سنة ١٩٥٨ .

٣ - ايفانوف - ملاحظات حول تاريخ إيران ص ١٨٧ - ١٨٩ موسكو ١٩٥٢ .

٥ - لوريمر - دليل الخليج التاريخي ح ١ ص ٤٩٥ طبعة ثانية .
Curzon Vol. I P. 615 L 1966. — 4

1 — Newton R.P. Lansdown L. 1929 P. 231.

الخليج العربي وهذا مما يغير ميزان القوى في المنطقة . يمكن القول ان كرزن قد بالغ كثيرا بالنسبة لوجود الروسي في الخليج العربي وخطورته على الهند ، فالنفوذ الروسي في الخليج كان لا يزال ضعيفا بالمقارنة مع وجوده في ايران بشكل لا يقاس اذ سيطرت روسيا سياسيا وعسكريا على معظم الاراضي الايرانية ، فكان تحت تصرف الحكومة القيصرية فيلق القوزاق المؤسس سنة ١٨٧٩ وكان سلاحا حربيا قويا لعب دورا فعلا في القضاء على ثورة الشعب الايراني في الفترة ما بين ١٩٠٥ - ١٩١١ ، اضافة الى الامتيازات السياسية والاقتصادية التي حصلت عليها روسيا ، وعلى هذا الاساس لم يكن من مصلحة روسيا الاتفاق مع بريطانيا حول تحديد مناطق النفوذ في ايران فرفضت على هذا الاساس محاولات بريطانيا المتكررة في السنوات ١٨٩٩ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٣ من أجل تحديد مناطق نفوذ الدولتين في ايران . وكانت بريطانيا تلح على ذلك كلما ازداد الموقف الالماني قوة في أوروبا أو في الشرق الاوسط حيث رأت بريطانيا أن الاتفاق مع روسيا يؤدي الى تحقيق مبدأ موازنة القوى في القارة الاوربية والوقوف في وجه الاطماع الالمانية المتزايدة في الشرق الاوسط . وفي نفس الوقت ايقاف الزحف الروسي من شمال ايران باتجاه الجنوب ثم الخليج العربي والحد من الخطر الوهمي الروسي بالنسبة للهند .

استمرت سياسة روسيا القيصرية في ايران على هذا النهج ففي ١٢ آب سنة ١٩٠٥ عتد في العاصمة الروسية بتروغراد اجتماع بين اقطاب الحكومة الروسية وقناصلها في ايران لتدارس سياستها في ايران والخليج العربي فافتتح الاجتماع وزير الخارجية لامزداروف قائلا : « تملك حكومته من الأدلة ما يكفي على أن الشاه اتخذ قرارا بترك سياسة الترنج والتردد بين بريطانيا وروسيا وأصبح الى جانب روسيا وبدون رجعة » (١) ، فتم الاتفاق على اعطاء حكومة الشاه القرض الذي طلبته على لسان وزير خارجيتها وفق الشروط التالية :

- ١ - تتعهد الحكومة الايرانية ألا تستلم أي قرض من البنسك الشاهنساھي البريطاني .
- ٢ - يحق للبنك الروسي دون غيره الاشراف على دار سك النقود في طهران .

١ - مذكرات ويت رئيس وزراء روسيا القيصرية ج ٢ ص ٣٧١ - ٣٧٢ بتروغراد ١٩٢٣

٣ - تتمتع الحكومة الإيرانية بعدم اعطاء أي امتياز إلى أي دولة في المناطق الإيرانية القريبة من الحدود الروسية إلا بعد الاتفاق مع الحكومة الروسية .

٤ - تتمتع الحكومة الإيرانية بعدم إجراء أي معادلات حول مد الخطوط الحديدية عبر أراضيها مع أي جهة كانت إلا في إطار الاتفاق مع روسيا . بقيت روسيا القيصرية على سياستها التقليدية في إيران حتى بعد اندحارها في حربها مع اليابان وما ترتب على ذلك من نتائج خطيرة فسي داخل روسيا . ولم تتحمس لفكرة الاتفاق مع بريطانيا فقد رفض رئيس وزراء روسيا « وايت » دعوة من الملك أدورد السابع لزيارة لندن وهو في طريق عودته إلى بلاده بعد توقيع معاهدة الصلح مع اليابان سنة ١٩٠٥ ، ويتضح الموقف الروسي هذا في الرسالة التي بعث بها لامزداروف - وزير خارجية روسيا - إلى السفير الروسي في طهران والتي جاء فيها : « إن حرب الشرق الأقصى وما خلفته من صعوبات ستترك أثرا على سمعة روسيا في بلاد فارس وسيستغل خصوم روسيا ذلك ويظهرون للفارس بأن جارهم الشمالي العظيم فقد أهميته . . . فعليك أن تحبط تلك المحاولات وأن لا تظهر تلك الملامح في السياسة الروسية في بلاد فارس . . . فلا يمكن أن تراجع روسيا وتتخلى عن سياستها الفعالة في المناطق التي لها فيها مصالح حيوية . . . ولم تقتصر السياسة الروسية في السنين الأخيرة على أساس أحكام سيطرتها على الأجزاء الشمالية من إيران ولكننا تمكنا من أن تثبت أقدامنا بقوة في الأقسام الجنوبية من تلك البلاد وفي الخليج الفارسي (حسب تعبيره) (١) . من الضروري القول في أن تقيم لامزداروف لنفوذ دولته في جنوب إيران والخليج العربي مبالغ فيه خاصة فيما لو قارناه بالنفوذ البريطاني هناك .

في بداية سنة ١٩٠٦ استقال وزير خارجية روسيا لامزداروف وحل مكانه أرفولسكي وهو من مؤيدي فكرة الاتفاق مع بريطانيا ، وفي انكلترا فاز حزب الأحرار في انتخابات سنة ١ٹ٠٦ وهو من دعاة الوفاق مع روسيا ، فقد صرح زعيم الحزب « كمبل بنرمان » بأن هدف حزب الأحرار هو الاتفاق مع روسيا ولاسيما لأن مثل هذا الاتفاق يؤدي إلى تحقيق مبدأ الموازنة في القارة الأوروبية (٢) . ويعتقد السفير البريطاني في بتروغراد بأن تحسين

١ - سبيير - روسيا القيصرية في إيران أبان الحرب الروسية اليابانية ح ٤ ص ١٤ .

2 — The Times 16 November 1906,

العلاقات السياسية مع روسيا يمكن أن يتم عن طريق القروض المالية^(١) . ولهذا يمكن القول أن بريطانيا وفرنسا استغلتا الضائقة المالية التي احاطت بروسيا بعد حربها مع اليابان وثورة سنة ١٩٠٥ من أجل املء شروطها السياسية عليها . كل هذه الظروف هيأت السبيل لحدوث تحول في سياسة روسيا القيصرية تجاه المنطقة . ففي نيسان ١٩٠٦ حصل أول انقلاب في سياسة روسيا الخارجية عندما أخذت تميل الى التقرب من بريطانيا فأيدتها في مؤتمر الجزيرة الخضراء وقد أشارت الى هذا التحول في السياسة الروسية الصحيفة الفرنسية Le Temps فأعتبرته : « أول خطوة واضحة في طريق الاتفاق بين روسيا وانكلترا »^(٢) وفي شهر مايس سنة ١٩٠٦ عين ارتور نيكولسن سفيراً لبريطانيا في العاصمة الروسية بتروغراد فبدأ مع وزير خارجية روسيا الجديد - ازفولسكي - مفاوضات التي أسفرت عن التوقيع على معاهدة ٣١ آب ١٩٠٧ .

جاء هذا التحول في السياسة الروسية نتيجة أسباب متعددة ، فان الضغوط التي مارستها الدبلوماسية الفرنسية عن طريق القروض التي قدمت الى روسيا في وقت محتتها كانت أحد أسباب هذا التحول ، فالقروض الفرنسي لروسيا سنة ١٩٠٦ يعتبر الخطوة الاولى على طريق التقارب بين أعداء الأمم - روسيا وبريطانيا - كما وجدت الدبلوماسية الروسية في بريطانيا وحليفها فرنسا سنداً لتثبيت النظام القيصري المنهار من الناحية المادية والمعنوية داخل روسيا وخارجها بعد ثورة ١٩٠٥ والاستمرار في استغلال شعوب أواسط آسيا والقفقاس وبولندا وبحر البلطيق وفنلندا ، كما يمكن الاستفادة منها في الصراع ضد المانيا والنمسا والمجر اضافة الى امكانية حل مشكلة المضائق مجدداً في صالح روسيا ، على أن السبب الرئيسي الذي أدى الى هذا التحول في السياسة الروسية هو الموقف الصعب الذي وصلت اليه روسيا بعد حربها مع اليابان وثورة سنة ١٩٠٥ فقد ضاعت بسبب هذا الوضع جميع الفرض التي كان من شأنها تحقيق اطماع روسيا القيصرية التوسعية في الشرق الاقصى . ان فشل روسيا في حربها مع اليابان جعلها تفكر بوجوب اعادة النظر في سياستها الاسيوية كما سرح بذلك الجنرال كروباتكين القائد العام للجيش الروسى^(٣) .

3 — British Documents on the Origins of the War Stationery Office 1934 No. 197 Gooch 4 G.P.

2 — Le Temps 26 Sep. 1906.

١ — سبتروفان وجيروليفا - الصراع الروسي الانكليزي في اواسط آسيا ص ١٥ بتروغراد سنة ١٩٠٩ (باللغة الروسية) .

أما ازفولسكي - وزير خارجية روسيا - فقد جاء في بيان وزارته سنة ١٩٠٥ « ان الاتفاق مع انكلترا يتطلبه مسألة حماية الحدود الروسية من الشرق الأقصى الى أوروبا ، فقد أصبحت روسيا في موقف صعب وهي تحتاج الى الوقت الكثير من أجل استعادة قوتها(١) » . ويعتقد أن من مصلحة روسيا أن تتفق مع انكلترا حول فارس ومع ألمانيا حول مشروع سكة حديد بغداد . وقد وصلت روسيا الى درجة من الضعف والوهن بحيث انها لا تتمكن من تحقيق الفكرة القائلة بوجوب احكام السيطرة الروسية على كل بلاد فارس والوصول الى الخليج العربي عن طريق مشاريع السكك الحديدية (٢) كما أن ثورة الشعوب الايرانية جعلت الحكومة الروسية تفكر بوجوب العمل الموحد مع بريطانيا من أجل الحفاظ على المصالح الاستعمارية لكلا الدولتين في ايران لاسيما وان الاوساط الحاكمة كانت تخشى كثيراً من انتشار الافكار اللبرالية في صفوف الشعب الإيراني .

لهذه الاسباب ارتأى وزير خارجية روسيا - ازفولسكي - أن من مصلحة روسيا اتباع سياسة جديدة وعلى هذا فقد عادت الدبلوماسية الروسية الى النشاط السياسي الفعال في أوروبا وبدأت تثير مجددا مشكلة البلقان والمضائق ، لكن روسيا القيصرية لم تستطع تحقيق مثل هذه الأحلام لمعارضة انكلترا وبقية الدول الأوروبية فأراد ازفولسكي كسب ود بريطانيا والاستفادة من اسنادها في تحقيق تلك الطموحات أما المؤرخون الانكليز فيعتبرون الصراع الانكليزي الألماني السبب الاساسي الذي دفع بريطانيا وجعلها تلج في الاتفاق مع روسيا(٣) . فقد صرح زعماء انكلترا من المحافظين والاحرار مثل ادورد غراي وترا فليان ونيكولسن وفشر بأن قصدهم من وراء الاتفاق مع روسيا هو الوقوف في وجه الأحلاف المناهضة لبريطانيا يضاف الى ذلك تعاظم خطر ألمانيا نتيجة لتزايد قواتها البحرية كما صرح بذلك اللورد بلفور (٤) . وحدد ادوارد غراي أهداف حكومته في السياسة الخارجية بأن لا يفسح المجال لألمانيا بأن تتحول الى القوة الحاسمة في القارة الأوروبية فمن أقواله : « يجب علينا الاتفاق مع روسيا . . . اذا لم نكن اصدقاء ففي كل الأحوال سوف لا نكون اعداء »(٥) . اذن فان قصد بريطانيا من وراء الاتفاق مع روسيا كان تحقيق الاهداف الآتية :

- ١ - سياسة روسيا الخارجية وثيقة ١٣٦ ورقة ٩٦ سنة ١٩٠٥ .
- Fay Sidney Bradshaw — The Origin's of the War P. 214-216.
- The Cambridge History XII L 1929 P. 68.
- The Times 5 Cep 1906.
- Admiral of Fleet Lord Fisher Memories L 1919 P. 174.

١ - تهديد مناطق النفوذ وتصـفية مشاكلها في كل من ايران وافغانستان والتبت والوقوف في وجه الزحف الروسي نحو الجنوب والخليج العربي والهند .

٢ - توحيد جهودها من أجل الوقوف في وجه الخطر الالاماني المتزايد في الشرق الاوسط .

٣ - تحقيق مبدأ موازنة القوى في القارة الاوربية .
ولكن بعد سنة ١٩٠٥ تغيرت أهداف بريطانيا من وراء اتفاقها مع روسيا القيصرية اذ انتفت أهمية الهدف الاول بعد أن أتضح لحكام بريطانيا ضعف روسيا ماديا وعسكريا وهذا مما يعميقها في تحقيق ذلك الهدف . وكان الرأي السائد في أوساط حكومة لندن حتى شهر كانون أول سنة ١٩٠٥ بأن هدف روسيا هو الاستحواذ على كل ايران ومما يسهل ذلك الأسباب الآتية :

١ - موقع روسيا الجغرافي بالنسبة لايران وهذا ما يساعدها على ارسال الجيوش بسرعة .

٢ - وجود فرقة القوزاق تحت قيادة الضباط الروس في طهران .

٣ - البنك الروسي في طهران ونفوذه الواسع .

وفي اللحظات الأخيرة التي سبقت بدء المحادثات الأخيرة اعتقدت الحكومة البريطانية بأن روسيا القيصرية ليس في موقف يمكنها اخضاع كل ايران الى نفوذها ولكن ظهر هدف جديد وهو محاولة الاتفـاق معها على أساس أنها حليف في الكفاح ضد ألمانيا بعد حصول الأخيرة على امتياز سكة حديد بغداد - برلين ، وتعلماتها نحو الخليج العربي ومحاولات الرأسمال الالاماني التوغل في ايران وفتح خط للملاحة بين موانئ الخليج العربي والموانئ الالمانية وازدياد حجم التجارة الالمانية في ميناء بوشهر منذ سنة ١٩٠٥ (٢) ، وفي سنة ١٩٠٦ بدأت المحادثات الالمانية الايرانية حول تأسيس بنك الماني في طهران كما بدأت الدعاية الالمانية تحرض الشعوب الايرانية ضد بريطانيا وروسيا في الوقت الذي حرضت فيه تركيا لمهاجمة الاراضي الايرانية (١) . يضاف الى ذلك أن اقتراب سكة حديد بغداد من

Hamilton A.P. Problems of the Middle East L 1909, P. 157 - 61.

١ - ايضاً : الثورة الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١ ص ٢٠٤ - ٢١٢
موسكو سنة ١٩٥٨ « باللغة الروسية » .

حدود فارس مما يهدد المصالح الروسية أيضا وإذا أضفنا الى ذلك اشتداد لهيب الثورة في ايران والذي يهدد مصالح الدولتين • كل هذه أدت الى التقارب بين روسيا وانكلترا •

وفي شهر مارت سنة ١٩٠٧ قامت بعض القطعات الروسية البحرية بزيارة ميناء بورتسموث الانكليزي وزار البحارة الروس مدينة لندن بدعوة من الملك أدوارد السابع واقامت لهم حفلة كبرى حضرها رئيس وزراء بريطانيا • ثم تلتها خطوات أخرى ففي بداية سنة ١٩٠٧ ظهرت بعض الخلافات في العلاقات الروسية اليابانية وأخذ الخوف يساور الحكام الروس في أن اليابان ستستغل ضعف روسيا كي تسيطر على مستعمراتها في الشرق الأقصى فتصور ازفولسكي أن الاتفاق مع بريطانيا سيكون وسيلة نافعة للوقوف في وجه الاطماع اليابانية التوسعية • في الوقت الذي فكرت فيه بريطانيا ان امكانية الاستفادة التامة من قوة روسيا لا يمكن أن تتم الا بعد تطمين روسيا على مصالحها في الشرق الأقصى وقوة مؤخرتها هناك وهذا لا يتم الا عن طريق الاتفاق مع اليابان وعندها ستركز روسيا جهودها واهتمامها نحو الغرب ضد المانيا (١) • فدفعت بريطانيا حليفها اليابان الى طريق التفاهم مع روسيا فتحسنت العلاقات الروسية اليابانية وفي ٢٧ حزيران سنة ١٩٠٧ تم توقيع بروتوكول صيد الاسماك بين روسيا واليابان وفي أواخر تموز من نفس السنة اتفقت الدولتان حول تقسيم منشوريا وكوريا الى مناطق نفوذ روسية في الشمال ويابانية في الجنوب (٢) •

ساعدت الاتفاقيات الجديدة على تحسن العلاقات بين الدولتين وطمأنت روسيا على مصالحها في الشرق الأقصى وهذا مما ساعد على اعطاء المفاوضات الروسية البريطانية طابع الجدية والتي بدأت في مايس سنة ١٩٠٦ في العاصمة الروسية بتروغراد • مثل الجانب الروسي وزير خارجيتها ازفولسكي وكان يؤمن في أن تقوم سياسة روسيا الخارجية على أساس الاتفاق مع فرنسا وبريطانيا واليابان وعلى روسيا أن تركز جهودها باتجاه اوربا لمصالحها المهمة وليس في الشرق الأقصى وعليها أن تعتمد في ذلك على بريطانيا حليفة فرنسا (٣) • ومثل الجانب البريطاني سفيرها في

-
- ١ - خواستوف - التاريخ الدبلوماسي ج ٢ ، ١٧٧ موسكو ١٩٥٣ •
 - ٢ - تاريخ العلاقات الدولية وسياسة الاتحاد السوفياتي الخارجية ١٨٧٠ - ١٩٥٧ ص ٢٦ موسكو ١٩٥٧ •
 - ٣ - مذكرات ازفولسكي ص ١٩ ، موسكو ١٩٢٢ « باللغة الروسية »

بتروغراد وهو من المتحمسين لفكرة الاتفاق مع روسيا . اعترض سـير المفاوضات مشاكل متعددة أشهرها طلب روسيا ببناء خط حديدي يربط القفقاس بخانقين لكي تقترب من سكة حديد بغداد ، لكنها كفت عن مطالبتها بالحصول على موطيء قدم على سواحل الخليج العربي ، بينما أصرت على ذلك في مفاوضات ١٩٠٣ و ١٩٠٥ (١) . ثم اصرارها على اعادة النظر في بنود معاهدة سنة ١٨٧١ حول حق الملاحة عبر المضائق وهذا هو السبب الرئيسي في تعثر المفاوضات باعتراف رئيس وزراء بريطانيا . وكان الجانب البريطاني يواجه الجانب الروسي بالحجج التالية :

١ - ان أي اتفاق جديد بشأن المضائق يجب أن يحظى بموافقة مطلقة لاعضاء مجلس العموم البريطاني وليس للأكثرية فقط .

٢ - يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار نتائج الاتفاق الجديد على بـقية الحكومات وخاصة المانيا .

٣ - أن أي اتفاق جديد حول المضائق قد يفسر بأنه من وراء ظهر الحكومات التي وقعت على معاهدة لندن سنة ١٨٧١ او الحكومات التي يعينها الامر في الوقت الحاضر وهذا مما يثير حنقها (٢) . وكان تحفظ روسيا الشديد خوفا من اثاره المانيا أحد أسباب تعثر سير المفاوضات ، ففي هذه الفترة سافر ازفولسكي الى برلين لكي يشرح للمسؤولين الالمان بأن الاتفاق المزمع عقده بين روسيا وبريطانيا لم يكن موجها ضد المانيا (٣) . وكانت حكومة الهند تؤكد على مشروع التقسيم الذي طرحه كرزن سنة ١٨٩٩ والذي ينص على أن تكون العاصمة طهران ضمن منطقة النفوذ الانكليزي . فتراجعت حكومة لندن عن هذا المشروع لصعوبة موافقة حكومة بتروغراد عليه كما تنازلت روسيا القيصرية عن فكرة مشروع الخط الحديدي الذي يربط بين القفقاس وخانقين واقتنعت بوجهة نظر الحكومة البريطانية حول تأجيل مسألة البت في مشكلة المضائق في تلك المرحلة . ففي ٢٠ نيسان سنة ١٩٠٧ ارسل ازفولسكي الى السفير البريطاني مذكرة حول مشكلة المضائق وارسلت تلك المذكرة في نفس اليوم الى ادورد غراي وقد جاء فيها : « تؤيد الحكومة الروسية فكرة تأجيل مناقشة مشكلة المضائق في الوقت الحاضر والتي قد تؤدي الى مشاكل جديدة ولهذا فانها تؤيد فكرة تأجيل البت فيها الى الوقت

1 — Standard 1 9May 1906.

2 — British Documents on the Origins of the War Vol. IV P. 28
L 1934.

٣ - مذكرات ازفولسكي ص ٢٢ .

الملائم» (١) • وهو ما كانت ترغب فيه الحكومة البريطانية وأجاب ادوارد غراي ازفولسكي بمذكرة في ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٧ ورد فيها « اذا اقتصرَت المحادثات التجارية بين روسيا وبريطانيا على الشؤون الاسيوية فستكون لها نتائج طيبة وستكون لها آثارها على المناقشات والمفاوضات في فترة متأخرة» (٢) ان تأجيل مناقشة المشكلة الاساسية بالنسبة للاطماع الروسية الى وقت غير قريب كان يعني رغبة بريطانيا في تقوية نفوذها في المضايق ومحاولة تضليل الدبلوماسية الروسية عن طريق ايهابها بأن آفاقا واسعة تنتظرها في المستقبل تحقق اطماعها في المضايق • تبنت روسيا القيصرية شروط اتفاقها مع بريطانيا بعد عقد سلسلة من الاجتماعات بين ذوي الاختصاصات المختلفة من المسؤولين الروس • كان أشهر تلك الاجتماعات اجتماع ٧ ايلول سنة ١٩٠٧ فقد ضم كلا من ازفولسكي وزير الخارجية وكوكوفسوف وزير المالية وجيديجير وزير الحربية وبالسن رئيس هيئة الاركان العامة وفيدوسوف وزير التجارة والصناعة وغروبي ممثل البنك الروسي في طهران •

افتتح الجلسة وزير الخارجية بخطاب اعترف فيه بأخطاء سياسة حكومته في الشرق الاقصى مما حال دون تنفيذ أهدافها وأكد على وجوب اعادة النظر في تلك السياسة ، وما ذكره نصا حول الموضوع قوله : « من الواجب علينا أن لا نتمتع كثيرا في ايران نحو الجنوب وأن تبقى مهماتنا الاساسية عرقلة تقرب النفوذ البريطاني والالاماني من المناطق القريبة من الحدود الروسية» (٣) • وتعتبر هذه التصريحات إشارة واضحة الى فكرة تثبيت مناطق النفوذ في ايران والتخلي عن سياسة المقاومة الجديدة للنفوذ البريطاني هناك • ثم عقد الاجتماع الثاني في اليوم الاول من شباط سنة ١٩٠٧ وساهم فيه اضافة الى المسؤولين السابقين سفير روسيا في لندن • أفتتح الاجتماع وزير الخارجية ازفولسكي فخطب قائلا : « لم تكن هناك أية فكرة حول تحديد مناطق النفوذ في بلاد فارس حتى اللحظات الأخيرة بينما كان الرأي السائد في اوساط الحكام الروس وبقناعة تامة أن تكون تلك البلاد جميعها تحت تأثير النفوذ الروسي اضافة الى ضرورة وجود منفذ حر على سواحل الخليج الفارسي « على حد تعبيره » وسكة حديد تخترق بلاد فارس من الشمال الى الجنوب ، لكن حوادث السنوات العشرة الأخيرة أثبتت لنا عدم امكانية تحقيق مثل تلك المشاريع ، فمن المصلحة ازالة اسباب

1 — British Documents Vol. IV P. 286 - 87.

2 — British Documents Vol. IV P. 291.

٣ — الارشيف الأحمر - ج ١ ص ٦١ موسكو ١٩٣٣ « باللغة الروسية »

خلافاتنا مع بريطانيا ويمكن تحقيق ذلك عن طريق اقرار مبدأ تثبيت مناطق النفوذ في بلاد فارس وهو الاساس الوحيد الذي يمكن أن يقوم عليه الاتفاق مع الحكومة البريطانية»^(١) فوافق المجتمعون على ذلك المبدأ ثم استمرت المناقشات حول تحديد مناطق التقسيم ، فطرح عدة مشاريع ، كان مشروع وزير المالية يقوم على اعتبار الخط الذي يبدأ من قصر شيرين حتى مدينة جراتون عند الحدود الافغانية مارا بهمدان ومشهد حدودا جنوبية لمنطقة النفوذ الروسي ، أما المشروع الذي تقدم به رئيس دائرة الاركان العامة فيبدأ بأصفهان تاركا كرمان الى شمال الخط ثم يمر بمدينة يزدوخان حتى نقطة التقاء الحدود الافغانية الروسية عند مدينة كوسان . ويلاحظ أن اقتراح وزير المالية قد أخذ بنظر الاعتبار الأهمية الاقتصادية للمنطقة بينما أكد رئيس هيئة الاركان العامة على أهميتها الاستراتيجية والعسكرية .

وافق المؤتمر على المشروع الأخير وقد علق على ذلك ازفولسكي بقوله « من الممكن أن نقبل بهذا المشروع على أساس أنه يمثل الحد الاعلى لمطالبنا وتطلعاتنا بالنسبة لهذه المشكلة واعتباره الاساس لمحادثاتنا مع بريطانيا»^(٢) . ومن الغريب أن المفاوض الانكليزي وافق على المشروع الروسي دون أن يقترح عليه أي تعديل . ونص الاتفاق بين الطرفين على احترام استقلال ايران والاعتراف بالحق العام لكل الأمم في مزاوله النشاط التجاري هناك . ثم التوقيع على المعاهدة في ٣١ آب سنة ١٩٠٧ في العاصمة الروسية بتروغراد ، وقد وقعها عن الجانب الروسي وزير الخارجية ازفولسكي وعن الحكومة البريطانية سفيرها في بتروغراد « نيكولسن » . وبموجب تلك الاتفاقية قسمت ايران الى منطقة نفوذ روسية في الشمال وبريطانية في الجنوب ومنطقة محايدة في الوسط ، كما مبين في الخارطة . تقع منطقة النفوذ الروسي في ذلك الجزء من ايران الممتد بين الحدود الروسية من جهة الشمال والخط الممتد من قصر شيرين مارا بمدينة اصفهان ويزد وخان وينتهي بنقطة التقاء الحدود الايرانية والافغانية والروسية . أما المنطقة البريطانية فتشمل ذلك الجزء الذي يقع الى الجنوب من الخط الممتد من الحدود الافغانية مارا بمدينة جازيت ثم بيرجند وكرمان وينتهي في بندر عباس على الخليج العربي . وما تبقى من البلاد وهي المنطقة المحصورة بين هذين الخطين فيعتبر منطقة محايدة يحق لكل من الدولتين مزاوله النشاط التجاري والحصول على الامتيازات المالية والاقتصادية فيها بعد

١ - الارشيف الأحمر - ج ٢ ص ٢٠ موسكو ١٩٣٥ « باللغة الروسية »

٢ - الارشيف الأحمر - ج ٢ ص ٢٤ موسكو ١٩٣٥

الاتفاق بينهما (١) ان الدارس لهذه التقسيمات يتصور للوهلة الاولى انها جاءت في صالح روسيا وانها شملت تنازلات كبيرة من جانب بريطانيا على أساس أن المناطق الشمالية من ايران والواقعة تحت النفوذ الروسي تمتاز بالكثافة السكانية اضافة الى كونها أكثر تطورا في الصناعة وتقع فيها مدن كبيرة ، الا أن هذا التصور بعيد عن الصحة للأسباب الآتية :

١ - ان توقيع الاتفاقية قد ألزم حكومة روسيا القيصرية بالكف عن شعاراتها المألوفة والداعية الى بسط سيطرتها على كل الاراضي الايرانية .

٢ - حصلت روسيا القيصرية على منطقة كانت قبل الاتفاقية تمارس فيها نفوذا مطلقا ، فكما نعلم أن شمال ايران تحولت الى منطقة نفوذ روسية بعد التوقيع على معاهدة « تركمان جاي ١٨٢٨ » بين روسيا والحكومة الايرانية ، بل أكثر من ذلك فإن بحر الخزر قد تحول بموجب بنود المعاهدة نفسها الى بحيرة روسية مطلقة .

٣ - ان توقيع الاتفاقية يحتم على حكومة روسيا القيصرية أن تجمد نشاطها الاقتصادي والسياسي في جنوب ايران بما فيه سواحلها المطلّة على الخليج العربي وهذا يعني اغلاق قنصلياتها والغاء خطوط الملاحة بين موانئ البحر الاسود والخليج العربي .

٤ - سمحت روسيا لبريطانيا أن تمارس في المنطقة المحايدة نشاطها الاقتصادي الأمر الذي مكن بريطانيا من السيطرة تدريجيا على هذه المنطقة حتى تم لها ذلك بالفعل بموجب معاهدة مورتوفسك سنة ١٩١٥ ، عندما تنازلت روسيا عن مصالحها بالمنطقة المحايدة الى بريطانيا لقاء تنازلات بريطانية بالنسبة للاطماع الروسية في البسفور والمضائق .

٥ - بالرغم من أن القسم الجنوبي قليل السكان ومتخلف صناعيا مقارنة بالمناطق الشمالية الا أنه يمتاز بوجود حقول نفط غزيرة استحوذت عليها الشركات البريطانية عام ١٩٠١ .

يتضح لنا من النقاط المذكورة اعلاه أن المعاهدة جاءت لصالح بريطانيا بشكل عام .

١ - مجموعة الاتفاقيات الروسية مع الدول الأجنبية ١٨٥٦ - ١٩١٧ ص ٣٨٧ - ٨٨ موسكو ١٩٥٢ .

كانت المشكلة الايرانية هي المشكلة الاولى التي عالجتها معاهدة سنة ١٩٠٧ ثم جاءت مشكلة افغانستان والتبت بالدرجة الثانية . وقد اضطرت روسيا الى تنازلات كبيرة في افغانستان لصالح بريطانيا حيث التزمت بأن تكون كافة علاقاتها السياسية مع أمير افغانستان عن طريق الحكومة البريطانية وأن يكون هناك مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة لروسيا وبريطانيا في التجارة مع أفغانستان(١) . أما بالنسبة للتبت فقد نصت المعاهدة على الاعتراف بسيادة الصين على التبت واحترام وحدة أراضيها دون التدخل في شؤونها الداخلية وأن تكون اتصالاتهم بحكومة التبت عن طريق الحكومة الصينية فقط وتتعهد الحكومتان بعدم الحصول على أي امتياز لمد الخطوط الحديدية وطرق المواصلات الاخرى في هضاب التبت (٢) . لكن الحكومة البريطانية احتفظت لنفسها بعلاقات تجارية مع التبت بموجب معاهدة ٧ أيلول سنة ١٩٠٧ وكذلك اتفاقها مع الصين في ٢٧ مارت سنة ١٩٠٦ ، ولم يبق لروسيا القيصرية من الامتيازات الا ما يتعلق بالقضايا الدينية الخاصة بالبوذيين كما حافظت بريطانيا على مثل تلك الامتيازات .

نتائج المعاهدة وردود فعلها :

تمخضت معاهدة عام ١٩٠٧ عن نتائج مختلفة أهمها ادخال روسيا القيصرية عضوا ثالثا في كتلة الوفاق الودي الذي تأسس عام ١٩٠٤ بين بريطانيا وفرنسا فقويت هذه الكتلة وتكاملت بعد أن أصبحت تضم كلا من بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية . وعلى هذا الاساس ضمنت بريطانيا لنفسها جيشا كبيرا هو الجيش الروسي واذا ما أضيف اليه الجيش الفرنسي فسيصبح بإمكان بريطانيا تحطيم قوات المانيا على اليابسة . انتهت هذه المعاهدة المقاومة الروسية للسيادة البريطانية في جنوب ايران والخليج العربي ، ولكن لم يكن هناك أي ضمان حول استتعمال الاسناد الروسي

١ - مجموعة الاتفاقيات الروسية مع الدول الأخرى ١٨٥٦ - ١٩١٧
موسكو ١٩٥٢ ، ص ٣٩

٢ - مجموعة الاتفاقيات الروسية مع الدول الاخرى ص ٣٩١ - ٣٩٢

بجانب بريطانيا في الصراع ضد ألمانيا في الخليج العربي ، اذ لم تتمكن الدبلوماسية البريطانية من تحقيق ذلك . كما حققت المعاهدة مبدأ الموازنة للقوة في القارة الاوربية ومن ثم لم تعد روسيا تشكل خطرا على الهند ، كما انتهت احتمالات قيام الحرب بين روسيا وبريطانيا وأصبحت بريطانيا الان طليقة وبعيدة عن القلق الذي كان يساورها منذ فترة طويلة وقد اعترف ادوارد غراي بذلك صراحة اثر التوقيع على المعاهدة (١) وركزت روسيا جهودها صوب القسطنطينية وشبه جزيرة البلقان مرة أخرى لاسيما وانها أصبحت تتوقع المساندة البريطانية في حالة صدامها مع ألمانيا او النمسا هناك .

أما فيما يخص ردود الفعل التي اثارها التوقيع على المعاهدة البريطانية الروسية فقد أبدتها بعض الصحف البريطانية خاصة جريدة التايمس اللندنية موضحة الأهمية السياسية التي جاءت بها المعاهدة فقد ذكرت الجريدة : « حققت المعاهدة الأمنية المتبادلة حول تحقيق سياسة موازنة القوى بين جميع الاطراف والتي اختلت بتأثير انهيار روسيا القيصرية في حربها مع اليابان ، كما تساهد المعاهدة على تحقيق مصالح روسيا القيصرية في الشرق الادنى » (٢) . أما مجلة الأقتصادي الناطقة بلسان الرأسمالية البريطانية فأيدت المعاهدة وشرحت منافعها الاقتصادية لكلا البلدين (٣) . بينما هاجمتها جريدة « الديلي نيوز » الناطقة بلسان الاحرار فكتبت تقول : « ان الاتفاق مع الحكومة الروسية والتي هي في حالة حرب ضد شعوبها غير مفيد ولا مرغوب فيه . . . فكان القصد من وراء الاتفاق مع روسيا هو اعادة الاعتبار للحكومة الروسية ومساعدتها ماديا في صراعها ضد شعوبها . . . وهذا يعني ان المعاهدة ضد مصلحة شعوب الامبراطورية الروسية » (٤) . كما جوبهت المساهدة بمعارضة شديدة من قبل حكومة الهند المعروف عنها معارضتها لأي اتفاق مع روسيا ، فكتبت الصحف الهندية معلنة انتقادها الشديد للمعاهدة وهاجمها اللورد كرزون في مجلس العموم البريطاني لأنها لم تنص على الاعتراف الروسي بالمصالح البريطانية في الخليج العربي ، ولم تشر الى واقع الحال في الخليج العربي خاصة وان روسيا تفكر بمد خط حديدي يربط بين حدودها وسواحل الخليج

1 — Nicolson, Harold, Corzov. The Last Phase 1919-1925. A

2 — Study in Post War Diplomacy 1934 P. 126.

3 — The Times September 13, 1907.

Economist September, 28 1907.

4 — Daily News — Sept. 2 1907

المربي(١) . ودافع ادوارد غراي وزير خارجية بريطانيا عن المعاهدة في مجلس العموم البريطاني وقال : « اننا لم نفقد شيئا ابدا في ايران وأفغانستان والتبت »(٢) . وعارضت الاحزاب الاشتراكية في انكلترا المعاهدة على أساس انها جاءت مساندة للسلطة الرجعية في روسيا وتشجيعا لها على الاستمرار في سياسة الارهاب والاضطهاد(٣) وأعتبرت الصحف الليبرالية المعاهدة بأنها ستعجل في قيام الحرب ضد المانيا ولا يمكن أن يتحقق السلام الا عن طريق الاتفاق مع المانيا ، أما الاتفاق مع روسيا وفرنسا فسيمعجل في قيام الحرب ضد المانيا(٤) .

ومن جانب آخر أشادت الصحافة الفرنسية بأهمية المعاهدة خاصة الصحف الشبه الرسمية ، ومن المعروف أن فرنسا لعبت دورا كبيرا في إيجاد التقارب بين روسيا وبريطانيا ، فعلمت صحيفة Le Temps

على المعاهدة بقولها : « ان روح الحكمة والفضيلة التي تحلى بها الجانبان هي التي جاءت بهذه المعاهدة التي احتوت على الادراك الواسع للمصالح المتبادلة لكلا الدولتين »(٥) . وكان الموقف الالمانى عكس الموقف الفرنسى فمن المعلوم أن المعاهدة سببت احراجا في العلاقات الروسية الالمانية فكان ازفولسكي يأخذ بنظر الاعتبار أثر مفاوضاته في العاصمة بتروغراد على العلاقة الروسية الالمانية(٦) . علما بأن المعادشات التي تمت بين الامبراطور وليم الثاني والقيصر نيقولا الثاني في هذا الوقت أسفرت عن اتفاقهما في حزيران عام ١٩٠٧ وكان هذا الاتفاق بمثابة موافقة المانيا على الاتفاق الروسي البريطاني الذي تم في ٣١ آب سنة ١٩٠٧ وقد تضمن ذلك الاتفاق نقطتين :

١ - لا تعقد روسيا القيصرية أي اتفاق له علاقة بمشروع سكة حديد بغداد دون علم مسبق لالمانيا .

1 — Par, Deb Vol. 138 PP. 1010 - 1013.

2 — The Times 7 Febr. 1908.

3 — Justice Sep. 8 1907.

4 — The Manchester Gardian Sept. 10 1907.

5 — Le Temps 30 Sept. 1907.

6 — H. Nicolson, Lord Carnock P. 243.

٢ - تقتصر المصالح الالمانية في ايران على النشاط التجاري فقط مع الاعتراف بالمصالح الروسية في تلك البلاد(١) .

وهذا يعني وجود اتفاق الماني - روسي مسبق حول الموضوع ، ولكن ذلك في الواقع لا يتعدى حدود الشكليات المعروفة في العلاقات الدولية لأن الاتفاق الروسي البريطاني ادى في الواقع الى تدهور العلاقات الروسية الالمانية فقد ساندت المانيا النمسا في احتلالها للبوسنة والهرسك في تشرين اول سنة ١٩٠٨ وكتب الامبراطور وليم الثاني الى قريبه وصديقه نيقولا الثاني في ٩ كانون الثاني عام ١٩٠٩ ذاكرا له اسباب تعاطف المانيا مع النمسا والمجر بهذا الاسلوب : « اتضح لنا وبصورة جلية وفي السنين الاخيرة ابتعاد روسيا عنا وتقربها الى مجموعة الدول التي هي عدوة لنا » (٢) . وظهرت الصحافة الالمانية عدم ارتياحها حتى وجهت انتقادها للحكومة الالمانية لعدم عرقلة توقيع تلك المعاهدة . ترك توقيع المعاهدة صدى واسعا داخل روسيا بين معارض ومؤيد . فقد أيدها حزب الكاديت - البرجوازيون الليبراليون - وعلقت صحيفتهم « ريج » على المعاهدة بقولها : « قدمت المعاهدة خدمة كبيرة للشعوب الايرانية اذ أصبح بإمكان تلك الشعوب الاستفادة من القدرات المادية والحضارية لكلا الدولتين - روسيا وبريطانيا - » (٣) . وهكذا اخفى حزب الكاديت الاهداف الرئيسية لتلك المعاهدة . وعارض النبلاء وكبار الرأسماليين ذلك القسم من المعاهدة المتعلق بأفغانستان اذ انتهى النفوذ الروسي وأحل مكانه النفوذ البريطاني على الرغم من وجود حدود مشتركة بين روسيا وأفغانستان يبلغ طولها الف فرسخ(٤) . وعارضها كبار الاقطاعيين والنبلاء وعلى رأسهم النبيل « تايبي » استاذ العلاقات الدولية في جامعة موسكو لأنها قللت من هيبة روسيا أمام الدول الكبرى وتركت أثرا سيئا في أواسط آسيا حتى بدأت شعوب هذه المنطقة تناهض الوجود الروسي كما حرمت روسيا من واجبها التاريخي وهو الوصول الى سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي . أما الحزب البلشفي الروسي فقد اتخذ موقفا حازما من المعاهدة اذا اعتبرها

١ - زيونجوفسكي - تهيأت روسيا للحرب العالمية الاولى في العلاقات الدولية ص ١٣٩ - ١٤٠ لينين غراد ١٩٢٩ .

٢ - مراسلات الامبراطور وليم الثاني الى الامبراطور نيقولا الثاني ١٨٩٤ - ١٩١٤ باليولوج موسكو ١٩٢٣ ص ١٤٤ .

٣ - ريج ١٥ ايلول سنة ١٩٠٧ بتروغراد .

٤ - صوت موسكو ١٣ ايلول ١٩٠٧ موسكو .

اقتساما استعماريًا لبلاد فارس وأفغانستان والتبت واعتبرها خطوة على طريق الاستعداد للحرب ضد ألمانيا (١) .

أما في إيران فقد اشتدت حركة المعارضة للمعاهدة في كافة أرجاء البلاد فقامت المظاهرات الصاخبة في طهران وبقية المدن واجتمع مجلس النواب الإيراني ضد مشروع التقسيم ورفض المعاهدة رفضًا قاطعًا ووجه النواب الأحرار اللوم لبريطانيا لأنها باعت إيران إلى روسيا (٢) ، وقدمت وثيقة المعاهدة إلى الحكومة القاجارية في ٢٤ أيلول سنة ١٩٠٧ فحرب مشير الدولة - رئيس الوزراء - بالمعاهدة وتمنى أن تكون سياسة روسيا تجاه إيران سياسة حكيمة ومدعاة للطمأنينة والاستقرار (٣) ، وقام وزير خارجية إيران إيران بزيارة لندن وبتروغراد للأطمئنان على مستقبل بلاده على ضوء الاتفاقية الروسية البريطانية فحصل على تأكيدات من كلا من أرفولسكي وادوارد غراي على أن المعاهدة لا تتعارض مع سيادة إيران (٤) . وبعد أن اشتدت حركة المقاومة لحكومة الشاه استعان الشاه بفرقة القوزاق الروسية لضرب الحركة الجماهيرية في طهران ووضع نفسه تحت حماية الروس وفي أوائل حزيران سنة ١٩٠٨ فر الشاه محمد علي من مدينة طهران إلى قزوین في أقصى الشمال والواقعة تحت النفوذ الروسي . وعندما اشتدت الحركة الثورية في كافة المدن الإيرانية تحركت القوات الروسية من الشمال نحو تبريز والقوات البريطانية في اتجاه المناطق الإيرانية المطلة على سواحل الخليج العربي . وبتأثير الضغوط الروسية والبريطانية تنازل الشاه محمد علي لابنه الصغير أحمد ولم يصادق مجلس النواب الإيراني على المعاهدة إلا في عام ١٩١١ ولم يعترف بها أمير أفغانستان إطلاقًا .

ازدادت أهمية المعاهدة بعد اللقاء الذي تم بين القيصر نيقولا الثاني والملك إدورد السابع في الفترة ٢٧ - ٢٩ مايس ١٩٠٨ في مدينة ريفيلي ونتيجة اللقاء حصلت روسيا على التأييد البريطاني لعبور السفن الروسية من المضائق (٥) وعلى الرغم من هذه اللقاءات والاتفاقيات الجديدة لم ينته الصراع البريطاني الروسي في الشرق الأوسط خاصة حول المنطقة المحايدة

١ - لينين - حول الامبريالية ص ٦٢١ موسكو ١٩٤٧ .

2 - British Documents Vol. IV P. 591.

3 - British Documents Vol. IV P. 599.

4 - Brown E.G. The Persian Revolution 1905-1909

٥ - الارشيف الاحمر ح ٤ ص ١٢٨ موسكو ١٩٢٣ .

من ايران ورغبة كل منهما في السيطرة عليها بعد اكتشاف حقول النفط الغزيرة فيها . اتخذ ذلك الصراع طابعا سريا ففي خريف عام ١٩٠٨ تأسست في لندن « الجمعية الايرانية البريطانية » وكان من أشهر مؤسسيها « لنج وبراون ولافتون » ومن أهدافها الاساسية التقرب من الليبراليين الايرانيين بهدف اضعاف النفوذ الروسي في ايران وتقوية النفوذ البريطاني هناك (٢)

وبعد توقيع المعاهدة اتجهت الدبلوماسية الروسية نحو البلقان والشرق الادنى لتحقيق احلامها التوسعية ففي سنة ١٩٠٨ ظهرت على صفحات مجلة الازمنة الحديثة الصادرة في موسكو مقالة للمؤرخ الروسي « ستروبي » تحت عنوان « روسيا العظمى » يدعو فيها الى احتلال حوض البحر الاسود والمضايق . وفكرت روسيا في مقاومة الاحتلال النمساوي لمقاطعة البوسنة والهرسك معتمدة على الاسناد البريطاني ، لكنها تراجعت عن ذلك بعد التصريحات التي أدلى بها ادورد غراي في ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٠٨ حول عدم موافقة بريطانيا على اجراء أي تعديل على معاهدة عام ١٨٧٨ حول المضائق الا بعد موافقة تركيا (٢) . فأضطرت روسيا في ٢٢ مارت سنة ١٩٠٨ الى سحب معارضتها على ضم البوسنة والهرسك الى النمسا لخوفها في أن الاشتراك في حرب خارجية يؤدي الى ثورة داخلية كما حدث بعد الحرب الروسية اليابانية عندما اندلعت ثورة سنة ١٩٠٥ . ولم تكف روسيا عن ممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية حول حق المرور في المضائق ففي سنة ١٩١١ جددت مطالبتها للدولة العثمانية حول حق الملاحة في المضائق لكن بريطانيا وفرنسا « حليفتي » روسيا شجعتا الدولة العثمانية على رفض الطلب الروسي وكان من نتائج الالجاج الروسي هذا أن اتجهت الدولة العثمانية نحو المانيا .

كان من نتائج المعاهدة أن تشجعت بريطانيا في الاستمرار في صراعها العنيف من أجل تقوية نفوذها في الخليج العربي ففي سنة ١٩١٣ انتهت الخلافات العثمانية البريطانية في المنطقة بعد اعتراف الدولة العثمانية بوصاية بريطانيا على الكويت والبحرين وكف العثمانيون عن مطالبتهم بالحماية على على قطر . وفي ٢٧ تشرين اول سنة ١٩١٣ وقع الشيخ مبارك الصباح وثيقة تعهد لبريطانيا بحقوقها لوحدها في التنقيب عن النفط في الاراضي الكويتية وفي ١٥ حزيران سنة ١٩١٤ اتفقت بريطانيا والمانيا

١ - ايفانوف - الثورة الايرانية ص ٢١٨ .

2 - British Documents Vol. V P. 441.

حول سكة حديد بغداد - برلين بعد موافقة المانيا على أن لا يتعدى الخط مدينة البصرة وتنفرد بريطانيا ببناء ذلك القسم من الخط الممتد بين البصرة والكويت وتقوم رؤوس الاموال البريطانية والالمانية بأستثمار الثسروات النفطية في كل من العراق وايران (١) • ولكن بعد مضي شهر ونصف على هذا الاتفاق نشبت الحرب العالمية الاولى ، وفي ١٥ نيسان سنة ١٩١٥ تنازلت روسيا القيصرية عن حقوقها في المنطقة المحايدة في ايران الى بريطانيا بعد الاتفاق الروسي البريطاني بموجب معاهدة موردوفسكي بعد أن تعهدت كل من بريطانيا وفرنسا بتسهيل مهمة الملاحة أمام الاساطيل الروسية عبـر المضائق (٢) • وهكذا حققت بريطانيا نصر آخر ضد روسيا القيصرية في ايران •

وفي الختام يمكن القول أن المعاهدة خففت من حدة الصراع الروسي البريطاني في الشرق الاوسط وانها جاءت في صالح بريطانيا اكثر من روسيا اذ تمكنت بريطانيا من الانفراد لوحدها في السيطرة على الخليج العربي وايقاف الزحف الروسي نحو جنوب فارس والخليج العربي ، كما انها قطعت الطريق على النفوذ الالمانى المتطلع نحو ايران والخليج العربي وازدادت كتلة الوفاق الودي قوة بعد انضمام روسيا اليها فتشجعت في مجابهة الحلف الثلاثي فأشتد الصراع بين الكتلتين الذي افضى في نهاية المطاف الى اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى ...

1 — George Kirk — Middle East L 1955 P. 95.

٢ — العلاقات الدولية في مرحلة الامبريالية ح ٣ ص ٤٥٢ — ٤٥٥
موسكو ١٩٣٥ « باللغة الروسية » •